الصحابة

٢

أبو حذيفة بن عتبة

الشهيد التائب

بقلم: فاطمة هانم طه محمد

رسوم داخلية: منى جامع

دار المعارف

تصميم الغلاف: **شريفة أبو سيف**

تنفيذ الغلاف والمتن
بالمركز الإلكترونى
بدار المعارف
كمبيوتر : أدهم أبورواش

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

حينَ بدَأ الرسولُ (ﷺ) الدَّعْوةَ إلى دينِ اللهِ الواحدِ الأحَدِ، ردَّدتْ صدَاهُ جَنباتُ مكَّةَ، ففزِعَ كبراؤُهَا وعظماؤُهَا، ووقفَ طغاةُ قريشٍ أمامَ دَعوتِه يقاومونَهَا بكلِّ قُوَّتِهم.

إنه صوتُ الحقِّ، يعلنُ رسَالتَه على لسانِ شريفِ قريشٍ وسيِّدِهَا، وينذرُهُم بزوالِ عهدِ ذُلِّ الإنسانِ لأخيهِ الإنسانِ.

وصمدَ النبيُّ (ﷺ) أمامهُم يتحدَّى بمفردِه كبراءَهُم وَعظماءَهُم الذين شبُّوا على الشركِ وعبادةِ الأوثانِ.

وطرقَ صوتُ الحق دارَ آلَ عتبة بن ربيعة، وأخذَ يرنُّ فى جنباتهَا بصوتِ الإيمان ؛ لإخرَاجِ النَّاسِ مِنْ عبادَةِ الأوثَانِ إلى عبادةِ الواحدِ الأحدِ، ولكنَّ قهرَ الجَاهليةِ، كانتْ جذُورُه قدْ تغلْغلتْ فى نفوسِ أهلِ الدارِ ورثُوهَا عن أجْدادهِم، فلمْ يستطعْ قلبُ عُتبة بنُ ربيعة رؤيةَ نورِ الإسْلامِ، فظلَّ على كفرِهِ هو وأخُوه شيبةُ وابنهُ الوليد.

أما ابنهُ حذيفة، فلمْ يستطعْ أنْ يردَّ نورَ الحقِّ عنْ قلبِهِ فأعلنَ إسْلاَمه لله وإيمانَه برسُولِهِ، كما أسلمَتْ زوجُهُ الوفيةُ سهلةُ بنتُ سُهيل بن عمرو ليكونَ معَ أولئكَ الضعفاءِ منْ أتباعِ محمدٍ (ﷺ) وليكونَ قدوةً يَحْتذِى بهَا باقى شبابِ قريشٍ، لينْضمُّوا إلى معسْكرِ النورِ والحقِّ يُحَاربونَ الضَّلالَةَ بالهُدَى.

ولْم يعترِضْ عتبةُ طريقَ ابنِه حُذَيفة ولمْ يحاربْه فى عقيدَتِهِ، بل كانَ الأبَ الحَانِى أمامَ صوتِ ضَميرِه، ولكنَّهُ لمْ يدافعْ عَنْهُ ضدَّ اضطهادِ سَادةِ

قريشٍ لمحمدٍ (ﷺ) وأصحابه، ومحاربةِ دعوتـهِ الجديدَةِ التى سفَّهتْ آلهتَهُمْ وهدَّدت مكانتَهُمْ المرموقةَ فى الذروَةِ مِنْ عشيرَتهِم.

دَأبَ أبُو حذيْفَةَ يدعُو أبَاه إلى الإسلامِ طمعًا فِي هدايتِهِ، وحُبًّا فى أنْ يـذوقَ حَـلاوةَ الإيمَانِ، كـمَـا ذاقـهَـا أصـحـابُ محمـدٍ (ﷺ)، ولـكنَّ عتبةَ لَمْ يَسْتَجِبْ لنورِ الإسْلامِ؛ خوفًا منْ أنْ يصبحَ أحْدوثةَ الأحاديثِ على لسانِ العربِ أجمعينَ إذا تركَ دينَ آبائِه وأجدَادِه، وخوفًا مِنْ غضبِ أصنامٍ لاتسمعُ ولا تبصرُ. فحزِنَ أبُو حذيفة لفشَلِهِ فى إقناعِ أبيه باتباعِ نورِ الحقِّ والدخُولِ فى الإسْلاَم.

وحينَ أسْـلـمَ حـمزةُ بنُ عبـد المطلبِ غَضبتْ قريـشٌ لفقدِ أحـدِ شبابِها الشجعانِ، فقدْ كانَ حمزةُ بنُ عبدُ المطلبِ عَم الرسولِ (ﷺ)، جَسُورًا لا يبَالِي بقُوَّةِ الأقوياءِ، ولا كثْرةِ الأعداءِ، حين يؤمنُ بحقيقةٍ يدافعُ عَنْهَا، خَشِيَ عتبةُ أنْ ينفرِطَ عقدُ قريشٍ حينَ بدأ شبابهَا الأقوياءُ ودررُ قريشٍ الذينَ تتفاخَرُ بهِمْ بينَ العربِ، الدخُولَ إلى الدينِ الجديدِ بجانبِ أعْدَاءِ الشركِ يحاربُونَ معَ محمدٍ آباءَهُم ويسفِّهُونَ أوثانهُمْ فشعرَ عتبةُ بنُ ربيعه بخطُورةِ ما يحدُث، فانطلقَ إلى الكَعبةِ ونَادَى قائِلاً:

يا معشَرَ قريشٍ ألا أقدمُ إلى محمدٍ فأكلمُهُ وأعرِضُ عليْهِ أمُورًا لعلَّه يقبلُ بعضَهَا فنعْطيه أيهَا وَيَكف عنَّا؟

فأجَابُوه قَائلينَ: بَلَى يَا أبَا الوليدِ.. قُمْ إليْهِ فكلمهُ.

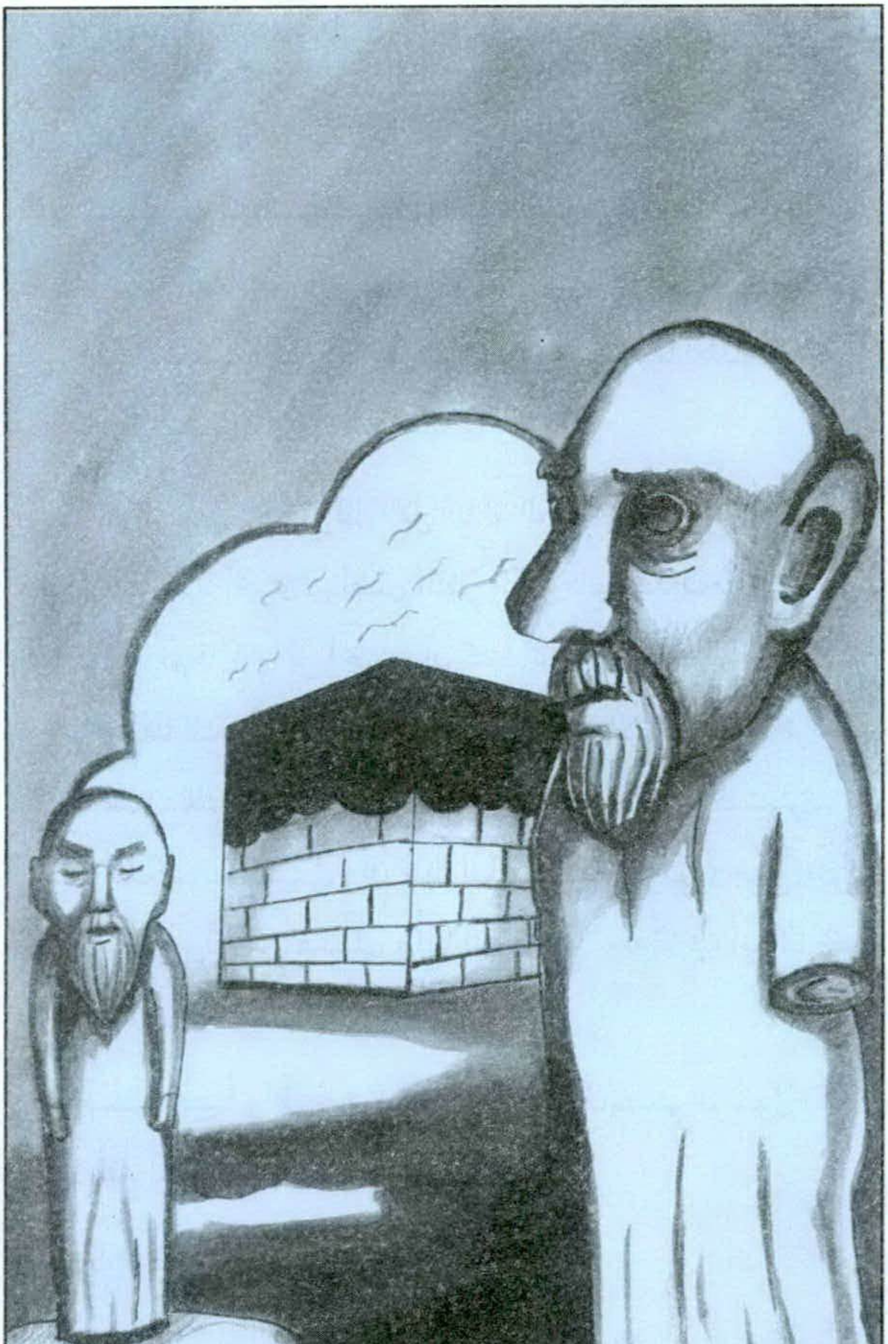

ذَهَبَ عتبةُ إلى محمدٍ (ﷺ)، وجلسَ إليْهِ، ينظرُ إلى وجهِهِ المشرقِ ثُمَّ قالَ: يا بْنَ أخِي إنكَ منّا حيثُ علمْت منَ السلطَةِ في العشيرَةِ والمكانةِ في النسَبِ، وإنكَ قد أتيتَ قومَكَ بأمرٍ عظيمٍ فرقْتَ به جماعتَهُم، وسفَّهْتَ به أحْلامَهُم، وعبتَ به آلهتَهُم ودينَهُم، وكفَّرْتَ بهِ ما مضَى مِنْ آبائِهِم.. فاسْمعْ مِنّي أعرِضُ عليْكَ أمورًا تنظُرُ فيها لعلكَ تقبلُ منهَا بعضَهَا.

ابتسمَ الرسولُ (ﷺ) وقالَ: قلْ «يَا أبَا الوليدِ»: وتمعَّنَ عتبةُ في وجْهِ رسولِ الله مرةً أخْرى، وأطالَ النظَرَ إليْهِ وكأنهُ قدْ تحيَّرَ فيمَا يُريدُ أنْ يقولَ.. ثم قالَ: يا بْنَ أخِي.. إنْ كنتَ تريدُ بمَا جئتَ به منَ الأمرِ - مالاً جَمَعْنَا لكَ مِنْ أموالِنَا حتَّى تصبحَ أكثرَنَا مالاً، وإنْ كنتَ تريدُ به شرفًا سودنَاكَ علينَا حتَّى لا نقطعَ أمرًا دُونَك، وإنْ كنتَ تريدُ به مُلْكًا ملَّكْنَاكَ علينَا، وإنْ كانَ الذى يَأْتِيكَ رئُى «جِنّيٌّ» تَراهُ ولاَ تستطيعُ رَدَّهُ عَنْ نفسِكَ طلبْنَا لكَ الطبَّ، وبذلْنَا فيهِ أموَالَنَا حتى نبرِئَكَ مِنْه.

وصمَتَ عتبةُ وأطْرقَ برأسِهِ إلى الأرْضِ، فابتسمَ الرسُولُ (ﷺ) وقالَ: لقد انتهيْتَ يا «أبَا الوليدِ»؟

فأجَابه عتبةُ: نَعَمْ.

فقالَ الرسولُ (ﷺ): فاستمعْ منّي ثمَّ تلا (ﷺ) أوائل سورة «فُصّلَتْ».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾
كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ
يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ
فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ
مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا
وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾

صدق الله العظيم

﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ
ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ
أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ
مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٌ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٌ
فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴾ صدق الله العظيم سورة فصلت: الآيات من (١-٥)

ومضَى رسولُ الله (ﷺ) فى قراءة السورةِ، و «عتبة» مِنْ خِلالهَا مسبلُ العينيْنِ سابحُ الفكرِ، وقدْ ألقى بيديْه مِنْ خلْفِه يعتمِدُ عليْهَا فى حُلْمِهِ الجَميلِ، حتّى إذَا انتهى (ﷺ) مِنَ القراءةِ اعتدلَ الرجلُ مِنَ استلْقائِه، وقدْ أخَذَ مِنْهُ صوتُ الحقّ كُلَّ حِسّه.. فلمْ يستطعْ أنْ ينطِقَ بشىءٍ وربتَ الرسولُ الأعظمُ على كَتِفِه وهُوَ يقُولُ: قدْ سمعْتَ يا «أبا الوليد» ما سمعْتَ، فأنتَ وذَلِكَ!

عَادَ عتبةُ إلى مَلأ قريشٍ وهُوَ مشتّتُ الفكرِ، موزّعُ الفؤادِ، لا يستقيمُ وجْهُه على حَالٍ فقالُوا: نحلِفُ بالله لقد جَاءكُم «أبو الوليدِ» بغيرِ الوجْهِ الذى ذَهَبَ بِهِ!

جلسَ الرجلُ بينهُم يشعُرُ بالوهَنِ والإعيَاءِ يحتلُّ جسَدَه.

فقالُوا له: مَا وراءَكَ يا «أبا الوليد»؟

فقالَ عتبةُ: إنى سَمِعتُ قولاً والله ما سمعْتُ مثلَه قط، والله مَا هُوَ بالشعْرِ ولا بالسحْرِ ولا بالكَهانَةِ.. يا معْشرَ قريشٍ أطيعُونى، وخلّوا بينَ

هذا الرجُلِ وبينَ ما هو فيه فاعتزِلُوه، فواللهِ ليكون لقولهِ الذى سمعْتُ منه نبأٌ، فإنْ تصبْهُ العربُ فقدْ كفيتُمُوه، وإنْ يظهرْ على العربِ فملْكه ملْككم، وعزُّه عزكُم وكنتمْ أسعَدَ النَّاسِ به.

فقالُوا له: سحَرك والله يا «أبا الوليد» بلسَانِه.

فَهَزَّ عتبةُ رأسَه وقالَ: هَذَا رَأيى.. فاصْنعُوا مَا بدَالكُم.

حينَ اشتـدَّ إيـذاءُ المشـركينَ لأصـحـابِ رسـول الـلـه، أمرهُـم النبىُّ بالهجْرةِ إلى الحبشَةِ، فاستجابَ المسلمونَ ومنهُم أبو حذيفة بنُ عتبة وزوجتُه بعدَ أنْ أصبحَ الله ورسولُه أحبَّ إليهمَا مِنَ النفسِ والأهلِ والمَالِ والوطنِ، واستقر أبُو حذيفة وزوجتُه سهيْلة بدارِ الهجرةِ مَا شَاءَ الله لهمَا راضينَ قريرين، وقد منَّ الله عليهمَا بالولدِ فأسمَاه محمدًا باسمِهِ الكريمِ، وتأكيدًا لمعْنَى الوفاءِ للعقيدةِ وللرسولِ (ﷺ).

وحينَ أسلمَ عمرُ بنُ الخطابِ وحمزةُ بنُ عبد المطلب عم الرسول، خفتْ حدةُ إيذاءِ المشركينَ وتنكيلُهمْ بأصْحابِ مُحَمدٍ، عَادَ المهَاجرُونَ إلى مكَّةَ ومِنْ بينهِمْ حذيفةُ بنُ عتبة، ولكنَّ هذَا الحالَ لمْ يسْتمر طويلاً، فعادَ المشركُونَ يواصلُونَ كيدَهُم للنبى والمسْلمينَ معه، فأمرهُم الرسولُ بالهجرةِ مرةً أخْرى خوفا عليهم، ولكنَّ أبَا حذيفةَ فضَّلَ البقاءَ بجانِبِ رسولِ الله (ﷺ)، أملاً فى أنْ يسْتطِيعَ هدايةَ أبيهِ عتبة بن ربيعه إلى الإسلام، فقدْ كانَ يعلَمُ أنَّ له ضميرًاحيًا ويعلَمُ فى أعمَاقِه أنَّ محمدًا (ﷺ)

علی هُدَی ولكنّه لا يسْتطيعُ كسْرَ قيْدِ الجَاهِليَّة. ورغمَ ذلِكَ ظلَّ بعيدًا عَنِ الصراعِ الدَّامِی بينَ قريشٍ وبينَ محمدٍ وأصحَابه.

وخرجَ رسولُ الله (ﷺ) إلى قبيلةِ ثقيفٍ ليدعوهَا إلى الإيمانِ بالله وحده، وتركِ مَا هِیَ عليْه مِنْ عبادةِ حجَرٍ لا يضرُّ ولا ينفعُ ولا يعرفُ مَنْ عبدَه ممَّنْ لمْ يعبُده. فاستقبلتْهُ القبيلةُ بأقبحِ ما يصدُرُ عنْ قومٍ تمكَّنَ الكُفْرُ والنفاقُ منْهُم. أحَالُوا عليهِ سفهَاءَهُم وصبيانَهم وعبيدَهُم، فرجَمُوه بالحجارةِ وانطلقُوا مِنْ خلْفِهِ يسددُونَ حجَارتهُم على جسَده الشريفِ حتَّى شجُّوا رأسَه، وأدْمُوا قدمه، وما رجَعُوا عنه حتَّى رأوْه يرتمِی فی حفْرَةٍ فی الفلاَةِ وكأنَّه قدْ فارقَ الحياةَ. فلمَّا أفاقَ مِنْ إعيائِه حَمَلَ نفسَه إلى حائطٍ لعتبةَ وشيبةَ ابنی ربيعة، فجلسَ يستظلُّ بهِ مِنْ وهَجِ الشمسِ ولَهيبِ الحصْبَاءِ.

رآهُ عتبةُ وشيبةُ، فأخَذَ منهمَا حَاله كُلَّ مأْخذ، واشتدَّ عليهمَا وخزُ الضميرِ أنْ يلجئَهُ القومُ إلى ذلِكَ العنَتِ الشديدِ وهو يدْعُوهُم إلى رِسَالةِ التوحيدِ، فأخذَا يتناجيَانِ فِی أمْرهِ، ويستَعْرِضانِ تاريخَ صدْقِهِ وصبْرهِ أمامَ مَا يلقاهُ مِنْ تعنُّتِ قريشٍ، ولكنهُمَا لمْ يستطِيعَا أنْ يخففَا عنْهُ ألَمه، ولو بكلمَةٍ مِنْ طرفِ اللسانِ، فقدْ كانَا يعلمَانِ الثمنَ الذی سيدْفعانه غَاليًا إذَا علمَ أحدٌ بذَلِكَ!!

جلَسَ النبیُّ (ﷺ) يُنَاجِی ربَّهُ بصوتٍ مَلائكی، وهمَا يرهفانِ له السمعَ، فسمعَا نغمةَ الخُلودِ على لسَانِ سيدِّ قريشٍ، يشكُو مَا لقيهُ مِنْ عذَابِ ثَقيفٍ.

فيقولُ: اللهُمَّ أشكُو إليكَ ضعفَ قُوَّتى، وَقِلَّةَ حيلَتِى، وهوَانِى على النَّاسِ، يَا أرْحَمَ الراحِمِينَ أنْتَ ربُّ المسْتضْعفِينَ وأنتَ ربىِّ! إلَى مَنْ تَكِلُنِى، إلَى عَبْدٍ يتجهَّمُنى، أمْ إلى عدُوٍّ ملَّكْته أمْرِى، إنْ لَمْ يكُنْ بكَ غضبٌ علَىَّ فَلاَ أبَالِى، ولكنَّ عافيتَكَ، هِىَ أوسعُ لِى، أعوذُ بنُورِ وجْهكَ الذِى أشرقَتْ لَهُ الظلمَاتُ، وصلُحَ عليْهِ أمرُ الدنيا والآخرةِ، مِنْ أنْ تنزِلَ بى غضبُكَ، أوْ يحلَّ علىَّ سَخَطُك، لَكَ العُتْبَى حتَّى تَرْضَى لاَ حوْلَ ولا قوةَّ إلاَّ بك.

وتحرَّكَت فى عتبةَ وشيبةَ نوَازِعُ الفطْرَةِ، وقدْ نزلَت كلماتُ الرسولِ الأعْظَمِ (ﷺ) منهمَا منزِلَ العاطفةِ الجارِفَةِ.. فلم يَمْلكَا أنْ يحبسَا فى قلبيهمَا نزعَةَ العطْفِ، فَدَعوا غلامًا لهمَا نَصْرانيا يقَالُ له «عدَّاس» وأعطَياه طبقًا مِنْ جَريدٍ كَانَ أمامهُمَا، قَالاَ له: خُذْ قطفًا من العنبِ فَضَعْهُ فى هذَا الطبقِ، ثم اذهبْ إلى ذلك الرجُلِ، فقلْ له يأكُلُ منه.

وانطلق «عدَّاس» بطبقٍ من العنبِ إلى رسُول الله، ووضَعه بينَ يديْـهِ، ورجَـاه أن يأكلَ، فتبسَّمَ (ﷺ) له، وقَالَ: بسم الله الرحمن الرحيم.. ثُمَّ أكَلَ منه ما شاء أنْ يأكلَ.. كُلُّ ذلك وعَّداسُ جَاثٍ على ركْبتيهِ، يتفرسُ فى وجهِ الرسُولِ (ﷺ) ولاَ يَنْثَنِى عنِ النظرِ إليه، وكأنه فى حُلْمٍ جميلٍ..!!

وتبسَّمَ الرسولُ (ﷺ) لعدَّاس مرةً أخْرى، وقد أحسَّ (ﷺ) أنَّ الرجُلَ يريدُ أنْ يقُولَ شيئاً.. بينما انطلقَ لسانُ «عدَّاس» يقولُ: والله إنَّ هذَا الكلاَمَ ما يقولُه أهلُ هذهِ البلادِ.

وسَأله الرسُولُ: وَمِنْ أهلِ أيِّ البلادِ أنتَ يا «عدَّاسُ».. وَمَا دِينُكَ؟

وأجَابَ «عدَّاس» قائلاً: نصْرانى.. وأنا رجُلٌ مِنْ أهلِ نينَوَى.

وأطرقَ رسُولُ الله (ﷺ) برأسِه وهو يقُولُ: مِنْ قريةِ الرجلِ الصالحِ، «يونُسُ بنُ متَّى»!؟

فانطبعَت على وجْهِ «عدَّاس» علائمُ الدهشَةِ فقالَ: ومنْ يدريكَ مَا «يونسُ بنُ متَّى»!؟

وأجَابَ الرسولُ (ﷺ) قائلاً: ذلِكَ أخِى.. كَانَ نبيًّا وأنَا نَبِيٌّ..

وارتعدَتْ فرائِص «عدَّاس»، فاندفعَ قائمًا.. وأكبَّ على وجْهِ رَسُولِ اللهِ يقبلُ رأسَه ويديْهِ وقدميْهِ، والرسُولُ (ﷺ) يدْفعه فلا يرجع.. حتَّى هدأتْ عَاطفتُهُ، وجَلَس.. وشَعرَ الرســولُ الأعظمُ بحَرج عتبة وشيبة، وقدْ رأى أحدَهُما يميلُ على الآخرِ يهمِسُ فى أذُنه، وكأنمَا يتخوفَانِ المصــيرَ.. فحمدَ الله على نعمائِهِ، وشكرَ لعدَّاس، وتأهَّبَ للمســيرِ.. وعَادَ «عدَّاسُ» إلى سيدَيْهِ ونظرَ شيبَةُ لعتبةَ وهو يهزُّ رأسَه وقدْ مزَجَ ابتسَامتَهُ بعجْبةٍ وقَالَ:

فَأمَّا غلاَمك فقدْ أفْسَدَهُ عليْكَ أمرُ محمدٍ.

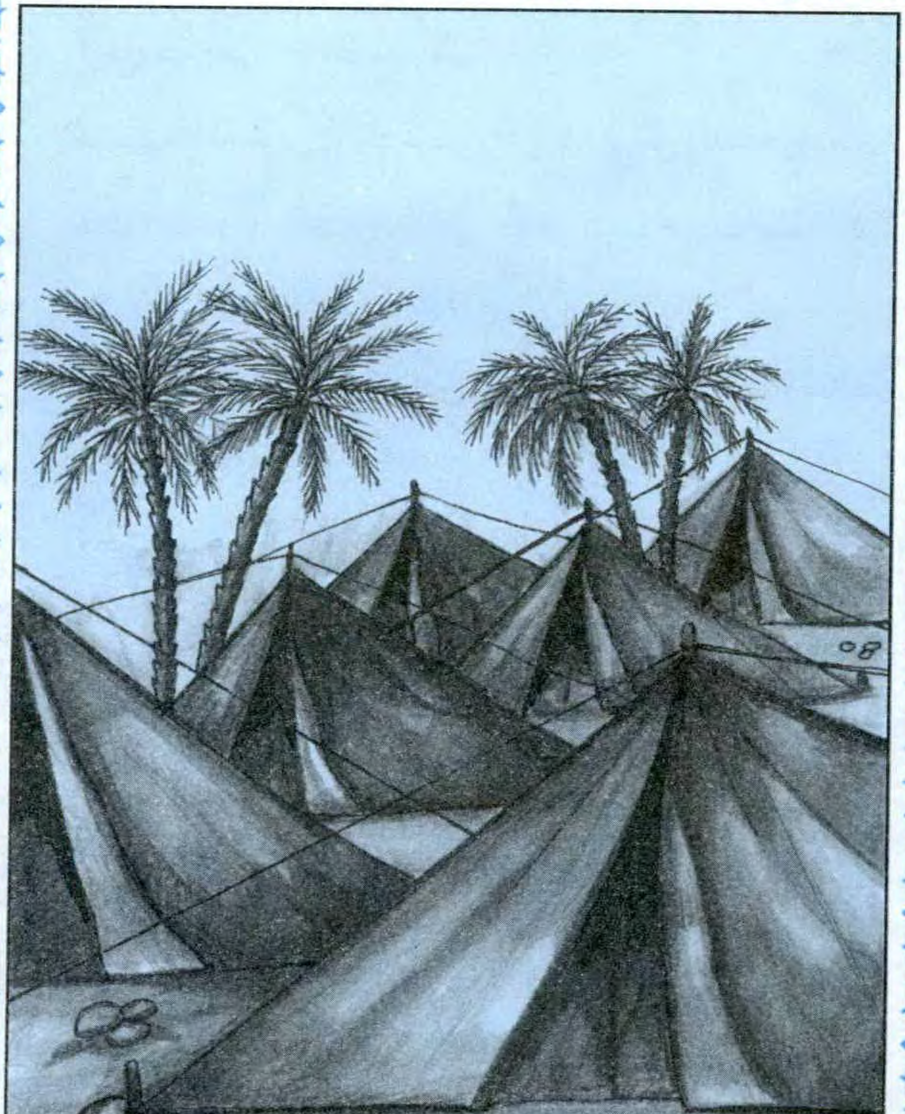

فرفَعَ عتبةُ بصرَه إلى عدّاس وقَالَ:

فَمَالكَ يا«عدّاسُ».. مالك تقبلُ رأسَ هذَا الرجلِ ويديْهِ وقدمَيْهِ!؟

فقالَ «عدّاس»: يا سيدى مَا فِي الأرضِ شيءٌ خيرٌ مِنْ هَذَا.. لقدْ أخبرنى هذَا الرجُلُ بأمْرٍ لا يعلمُه إلاَّ نَبِيٌّ.

ثم انصرفَ.. وتركهُما فى حيرتهِمَا لصوتِ الضميرِ يهزُّ أوصالهُمَا أمامَ حقيقَةِ السمَاءِ الماثلةِ فى شخْصِ محمدِ بنِ عَبْدِ الله..

وحينَ أذِنَ اللهُ لرسولِه بالهجرةِ إلى المدينةِ، أمرَ الرسولُ (ﷺ) أصحَابَهُ مِنَ المسلمينَ بالفرارِ بدينهِمْ مِنْ أذَى قريشٍ وطُغْيَانِهَا، فأسرعَ أبُو حذيفة بن عتبة ومعه زوجتُه إلى المدينةِ، استقرا بها عدَّة شهورٍ حتى لحقَ الرسولُ (ﷺ) بأصحَابهِ هناكَ ليرسى دعائمَ دولةِ الإسلامِ، على نور الحقِّ. ومضَت السنُونَ، واكتملَت خِلالهَا للمسْلِمينَ أسبابُ القوةِ والمنعةِ وبدأوا الجهادَ لرفعةِ كلمَةِ الله.

وَفِى موقعَةِ بدْرٍ، أقبلَتْ قريشٌ برجالِهَا وخيولهَا وعدتهَا وعتادهَا، ونظر الرسولُ (ﷺ) إلى جيوشِ الشرْكِ فأشفَقَ على أصحَابهِ، وما لبثَ أنْ نظرَ إلى السمَاءِ متضرعًا إلى ربِّهِ وقال (ﷺ): (اللهم هَذه قريشٌ قدْ أقبلتْ بخيلائِهَا وفخرِهَا، تُحَادُّكَ وتكذِّبُ رسُولَكَ.. اللهم فنصركَ الذى وعدتنى، اللهم إنْ تهلكْ هَذه العصَابةَ مِنْ أهلِ الإيمانِ فلنْ تعبدَ بعدَ ذلك فى الأرضِ.. اللهم أَحنْهم الغدَاة..).

فأنزلَ الله السكينةَ على المؤْمنينَ، ونزلت كلماتُ الله تعالى يتلوهَا النبيُّ (ﷺ) :

﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ صدق الله العظيم سورة القمر : الآيتان (٤٥، ٤٦)

وبعثتْ قريشٌ عمرو بن وهب ليحرزَ لهَا عسكرَ المسْلمينَ، وليحْسبهُم عدًّا لو استطاعَ.. فعادَ إليهَا وقدْ هالتهُ قوة الإيمانِ، وبدتْ له دعائمُ العزةِ قويةً راسخةً، وعلمَ أنَّ النصرَ لنْ يفوتَ قومٌ خرجُوا منْ أجْلِ الآخرةِ، وأعلنَ لقومِهِ هذِه الحقيقةَ الماثلةَ فقالَ لَهُم: قد رأيْتُ يا معشَرَ قريشٍ البلاَيا تحمِلُ المَنايا نواضِحَ يثربَ تحملُ الموتَ الناقعَ.. قومٌ ليس لَهُم منَعة ولاَ ملجأ إلا سُيُوفهم، والله مَا أرى أنْ يقتلَ رجُل منهُم حتَّى يقتلَ رجلاً منكم!! فإذا أصابُوا منكُم عدادهم فمَا خيرُ العيشِ بَعْدَ ذلك.. فُرُّوا رأيكُم!!

وأسرعَ حكيمُ بنِ حزامٍ إلى عتبةَ بن ربيعةَ؛ ليعلمه بالنبأ العظيم وليستعينَ به على حقنِ دماءِ قريشٍ فقَالَ:يا «أباالوليد» إنكَ كبيرُ قريشٍ وسيدُهَا والمطاعُ فيها.. فهل لك ألاَّ تزالُ تذكرُ فيها بخيرٍ إلى آخرِ الدهرِ؟

وبادره عتبةُ وقد ارتاعَ مِنْ قوله فقالَ: وماذَا يا حَكِيمُ!؟

فقال حَكِيمٌ: ترجعُ بالنساءِ وتحملُ أمرَ حليفِكَ عمْرو بن الحَضْرمى

الذى أصَابه محمدٌ ، وأجَابهُ عتبةُ على الفوْرِ: قدْ فَعَلت.. أنت على بذلك، ووقفَ عتبةُ خطيبًا فى مَلأ قومِه فقالَ:

- يا معشرَ قريشٍ: إنكُم - والله - ما تصنعُونَ بأنْ تلقُوا محمدًا وأصحَابَه شيئا، والله لئِنْ أصبتُمُوه لا يزالُ الرجُلُ ينظُرُ فى وجْهِ رجُلٍ يكرَهُ النظرَ إليْهِ، قتلَ ابنَ عمِّهِ أو ابن خاله أو رجلاً منْ عشيرتهِ. فارجعُوا وخلُّوا بينَ محمدٍ وبينَ سائِرِ العربِ، فإنْ تصبه العربُ فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب، فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به.

ومِنْ خلالِ الموقفِ الرهيبِ كان حكيمٌ يعرضُ على أبِى جَهْلٍ رَأى عتبة فى الرجوعِ بالناسِ، فثارتْ ثائرتُه، واستشاطَ غَضَبُه، وصاحَ فى الناس وقال: انتفخ والله سِحْرُه حينَ رأى محمدًا وأصحَابَه، كلا والله لا نرجعُ حتى يحكمَ اللهُ بيننَا وبينَ محمدٍ، وما بعتبة بن ربيعة ما قال، ولكنه قد رأى أنَّ محمدًا وأصحَابَه أكلةَ جِذُورٍ وفيهِم ابنُه أبُو حذيفة فقدْ تخوفكُم عَليْه!!

كانَ أبُو حذيفة فى مقدمةِ صفوفِ جيشِ المسلمين، فأخذ يتتبعُ أباه عتبة فى جيشِ الكفارِ يركبُ جملاً أحمرَ، فارتسمَت على وجْهِهِ علاماتُ الحزنِ، فهو يعلمُ أن أبَاهُ خرجَ مُستكرهًا، ولو كانَ الأمرُ بيدِهِ ما خرجَ إلى هذِه الحرْبِ. كذلك كانَ النبىُّ (ﷺ) يعلمُ تلكَ الحقيقةَ.. فأرادَ أنْ يقررهَا على مَلأٍ منْ أصحَابه فقال:

لأنْ يكونَ فى أحدٍ منَ القوْمِ خيرٌ، فعندَ صَاحبِ الجملِ الأحمَرِ.. أمْ يطيعُوه يرشدُوا.

كَانَ جيشُ الكفَّارِ عدده ثلاثةَ آلافِ مقاتلٍ، وكانَ جيشُ المسلمينَ لا يتعدَّى ثلاثمائةِ فارس، لا يحمِلونَ غيرَ سيُوفِهم. ورغمَ ذلك لمْ يخافُوا كثرةَ المشركِينَ، واستمَاتُوا خلفَ النبى (ﷺ)، يقاتلُونَ جيشَ الكفرِ فى شجَاعةٍ لا نظِيرَ لَهَا.. فخَافَ رُءُوس الكفرِ مِنَ استبسالِ المسلمينَ خلف النبى(ﷺ)، فاجتمعُوا يتبادلُونَ الرأىَ بينهم؛ بهدفِ القضاءِ على دعوَةِ محمد.. وكانَ عتبةُ بنُ ربيعة غيرَ متحمسٍ لهَذِه الحربِ. وبدَا لسادةِ قريشٍ أنَّ عتبةَ بنَ ربيعةَ يودُّ فى نَفْسِهِ أن يعودَ إلى مكةَ وأنه يكادُ أنْ يعلنَ أنَّ محمدًا(ﷺ) وأصحَابَه على حَقٍّ وهُمْ علَى بَاطِل، وأنَّ ضميرَه ما يزالُ يعذِّبه. وأرادَ عتبةُ أنْ يضعَ حدًّا لعذَابِ ضميرِهِ، ففضَّلَ أنْ يموتَ بعزَّةٍ على أنْ يموتَ خلاَلَ المعركةِ. فنادَى قائِلاً: يا محمد أخرجْ لنا أكفاءنَا مِنْ قومِنَا فاستجابَ الرسولُ (ﷺ) لنداءِ عتبةَ فنظَرَ إلى أصْحَابِه وقالَ (ﷺ):

- قمْ يا عُبيدَة بن الحارث، ثم يا حمزةُ، قمْ يا علىُّ.

تقدمَ أبو حذيفة بن عتبة إلى النبى (ﷺ) يطلبُ أنْ يختارَه هو ليبارزَ أبَاه حَتَّى لا يقتلهُ غيرُه، فربَمَا أخذَتْهُ بمقتلِ أبيهِ جاهليةٌ فيجدُ فى نفْسِه على قَاتِلهِ شيئا. ولكنَّ رسولَ الله (ﷺ) لم يقبلْ منْهُ، فردَّه عنْ عزْمِه،وربتَ على كتفِه، فعاد إلى صفوفِ الجيشِ مُطِيعا، ولكنَّ نفسَه حزينةٌ . فهوَ لا يزالُ يرى مِنْ أبيهِ حلمًا وفضْلاً وعقْلاً، حتَّى

فى هَـذِهِ اللحـظةِ الحاسـمَةِ ، وكان يـرَاودُه الأمـلُ فى أنْ يُسـْلم عتبـةُ.

ونَادَى عتبةُ بنُ ربيعة مِنْ أقْصَى الميدانِ مرةً أخْرى على الثلاثةِ الذينَ أخرجَهُم رسولُ الله (ﷺ)، ليتعرّفَ أسماءَهُم، فأجابُوه تباعًا: عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب.. حمزة بن عبد المطلب.. على بن أبى طالب. فما ملك عتبةُ أنْ قالَ: أكفاءٌ كرامٌ! تقدّمَ الثلاثةُ نحوَ الثلاثَةِ.. فانتصرت كلمةُ الإسلامِ على الفورِ، وخرّ عتبةُ وشيبةُ والوليدُ صرْعَى على مرأى من المَعَسْكريْنِ.. وعَادَ أبطالُ النصرِ إلى صفوفِ المسْلمينَ بينَ التكبيرِ والتهْلِيل.

والتـحمَ الجيشَانِ، وانتصـرَتْ كلمةُ اللهِ، ولقى عتبةُ وابنهُ الوليدُ وأخُوه شيبةُ مصرعَهُم فى معركَةٍ شرسَةٍ، ونسِىَ أبُو حذيفة مقتلَ أبيه وأخيه وعمه، وأبلَى فى شجَاعَةٍ وبسالةٍ لا يخافُ الموتَ، ينقضُّ على جيشِ الشركِ فيقتلُ كالأسَد..

ونَادى رسولُ الله (ﷺ)، فى المسلمينَ قائِلاً: «إنى قد عرفتُ رجالاً من بنى هاشم وغيرهم قد أخرجُوا كرهًا لا حاجَةَ لهم بقتالنَا، فمنْ لقى منكُم أحدًا مِنْ بنى هاشم فلا يقتله، ومنْ لقى أبا البحترى بن هاشم فلايقتلْه، ومنْ لقى العباسَ بن عبدالطلب فلا يقتله، فإنما خرجَ مستكْرها.

سمعَ أبو حذَيْفة كلامَ الرسولِ عليهِ الصلاةُ والسّلام، فحزنَ وتذكّرَ أباه وكيفَ خرجَ مستكرها هو الآخرُ، وكيفَ قتِلَ وهو كافِرٌ، وكمْ كانَ

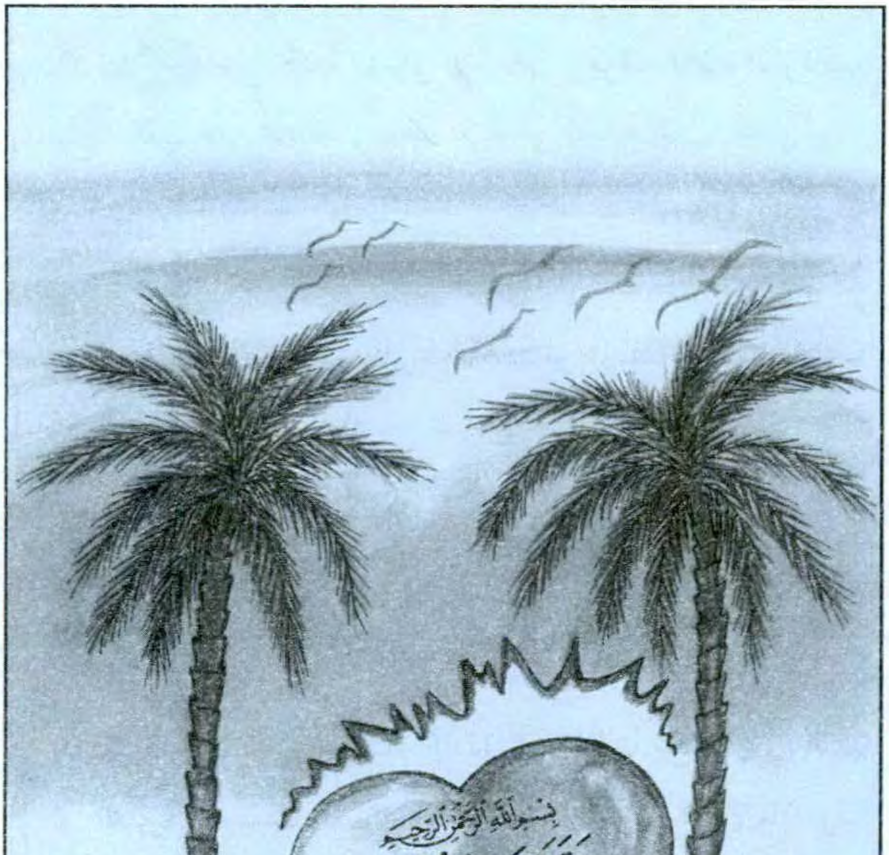
بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
وَتَوَاصَوْاْ بِالْحَقِّ
وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ
صدق الله العظيم

يودُّ أنْ يظلَّ حيًّا حتى يهْدِيَهُ الله إلى الإسْلاَم.. ومزقته عاطفةُ البنوةِ فلمْ يسْتَطِعْ التغلبَّ على عاطِفتِه وضعْفِه الإنسَانى فصاحَ يقولُ: أتقتلُ آباءَنا وأبناءَنا وإخواننا وتتركُ العباسَ؟

ابتسمَ الرسولُ (ﷺ)، والتمس العذرَ لأبى حذيفة، فهو يعلمُ أنه مؤمنٌ صادقُ الإيمانِ، وما دفعَه إلى قولِ هَذَا غيرُ عاطفته وضعْفِه كإنسَانٍ أمامَ مقتلِ أبيهِ وأخيه وعمه فصاحَ عمرُ بنُ الخطابِ قائلاً:

– يا رسول الله دعنى لأضربَ عنقَهُ بالسيْفِ فَوَالله لَقَدْ نَافق.

فقالَ الرسولُ العظيمُ (ﷺ) فى حنانٍ ورحْمَةٍ: يا عمرُ.. لقدْ رأى أبُو حذيفة مصرعَ أبيهِ بِعَيْنيْه.

حينَئِذٍ ظهرَتْ لأبى حذيفة الحقيقةُ التى غابتْ عنْ عقْلِهِ، واشتدَّ وخْزُ ضَميرِه، وأسفَ عَلى ضياعِ ماضيهِ الطويلِ فى الإيمانِ بزلة لسان، وزادَ ضيقُه وضعفُ جسْمِهِ وهو يتذكَّرُ غيرَه من المسلمينَ الذينَ استطاعُوا التغلُّبَ على ضَعْفِهم، وكانوا يقتلُونَ أباءهُمْ وإخوانَهُم بدُونِ تردُّدٍ طَامعينَ فى رضوَانِ الله ورضاءِ رسوله.. وراحَ يلومُ نفسَه ويعنفها، حينَ عرفَ حقيقةَ العباس بن عبد المطلب الذِى كتمَ إيمانَه وظلَّ بينَ الكفارِ ينقُلُ للرسُولِ (ﷺ) أخبارَهُم بعْدَ أنْ هَاجرَ إلى المدينَةِ، ليستعِدَّ الرسُولُ (ﷺ) ومنْ معه لمواجهَةِ جُيُوشِ المشركين، وأنَّهُ هو الذى حَمَلَ بنى زهرة جميعًا على الانسحَابِ مِنْ ميدانِ القتالِ..

ويزدادُ أبو حذيفة ندمًا على زلّة لسَانه، ولا يرى مِنْ سبيلٍ إلى التكْفيرِ عَنْ ذنبه إلاَّ بالشهادَةِ في سبيلِ اللهِ، وانعكسَتْ عَلَى قلْبِ أبى حذيفة أضواءُ الحقيقَةِ ، فَبَدَا له مِنْ خلالِهَا ظُلم نفْسِه، حينَ عارضَ رسولَ الله(ﷺ)، واشتدَّ على قلبِهِ وخـزُ الضميرِ، وهُو ينظُرُ إلى ماضِيه الطويلِ الحافلِ بالصدْقِ والصبرِ والفداءِ، يتحـطَّمُ على محْنةٍ مِـنْ محَنِ التجَاربِ والابتـلاَءِ ، واستبـدَّ بـهِ الضيـقُ أنْ تَخْذلَه نفسُـه في موطِنِ الرضَى والتسْليمِ لأمرِ اللهِ عَلَى لسَانِ رسُولهِ (ﷺ) ، حَيْثُ انتصرَتْ نفوسٌ أخْرى على نزعَةِ الهَوى ووسوسة الشيطان. فهذَا يقتلُ أبَاه، وهَذَا يقتلُ أخَاه، وذلك يقتلُ عمَّه أوْ خَالَه أو رجُلاً مِنْ عشيرَته، يفتدى بذَلِكَ دعوةَ الله، ويشترى رضَاءَ رسُـولِ الله (ﷺ)، يكونُ قريرَ العينِ، رَاضى القلبِ، مرتاحَ الفؤادِ حـتى إنَّـه لا يقفُ بـه الرضَى عَـنْ أمْره إلاَّ حِينَ تذهَبُ نفسُـه هِيَ الأخْرى فِي ميدانِ الانتصَارِ لكلمَةِ الله وإعلاَءِ لوَائه بين العَالِمين.

وأطْبقت الدُّنيا بضيقهَا عَلَى صـدْرِ أبى حُذيفـة، فصيرَّتْهُ كالحـطَامِ، لا يكادُ يسـتقيمُ جَسـدُه على قدميْه أمامَ خَطيئَتِهِ معَ رسُولِ الله(ﷺ).. وأخذَ يلُومُ نفسَه ويعنفهَا، ويذكُرُ مَا قاله النبيُّ(ﷺ)، فيستضيءُ له قلْبُه، ويعلَمُ أنَّ رسُولَ اللهِ (ﷺ) لا ينطِقُ عَنْ هـوى، ولا يصدُرُ عَنْ غرضٍ، إنْ هُوَ إلاَّ وحْيٌ يُوحَى، علَّمَه شديدُ القُوَى.. وتبدُو له حَقِيقَةُ العباسِ بنِ عبدِ المطلبِ، الذى نَهى الرسُولُ (ﷺ)عَنْ قتْله، فيعظُمُ أمامَه، الفارقُ بينَهُ

وبينَ أبيهِ عُتْبة، فالعباسُ مسلمٌ فى أعمَاقِهِ مِنْ قَديمٍ، حتى إنَّه ظلَّ يمُدُّ رسُولَ اللهِ (ﷺ) بأخبارِ قريشٍ، منذُ هاجرَ إلى المَدينةِ، ليأخذَ (ﷺ) لِكُلِّ أمْرٍ عُدَّته، وَهُوَ حينَ خرجَ معَ قريشٍ فِى بَدْرٍ، لم يخرجْ كما خرجَ عتبةُ، وإنَّما خرجَ ليخذلَ عَنْ رسولِ الله (ﷺ) قُوى الشرْكِ مَا استطَاع، وَلَقَد استطاعَ أنْ يحققَ فِى ذَلِكَ الكثيرَ. وتدورُ بأبى حذيفة رأسُه، فيسندُهَا على رُكْبتيْهِ، وقد تشبَّثَ جسدُه بالأرْضِ مِنْ فرطِ الإعْيَاءِ، وينظرُ إليه الرسولُ الأعظمُ فيزدَادُ به إشفَاقًا على إشْفَاقٍ ، ويزدادُ أبو حذيفة بإشفَاقِ الرسولِ (ﷺ) حزْنًا عَلَى نفسِهِ ، وندمًا عَلَى مَا فَرَّطَ مِنْ لِسَانه ، ولايرى مِنْ تكفيرٍ لذنْبِهِ إلاَّ أنْ تَستأنِفَ الحرب مَعَ قريشٍ أوْزارهَا، فيموتُ فى الميدانِ شهيدًا ولكنْ هَيْهَاتَ هيهاتَ ، فلقدْ تمَّ النصرُ ، وقُتِلَ مِنْ رُءُوسِ الكفرِ مَنْ قتلَ وأسِرَ مَنْ أسِرَ، وفرَّ مَنْ استطاعَ الفرارَ، وقد ذهبَ أملُه فى الشهادةِ، ولوْ إلى حِين.

التحمَ الجيشَانِ فى بدْرٍ، والمسلمونَ لا يحملونَ إلا سلاحَ المسافر، السيوفَ والسهامَ، واستبسلَ أبطالُ الإسلامِ فلمْ يخافُوا كثرةَ المشركينَ ولا وفرةَ سِلاَحِهِم إنهُمْ لا يُقَاتلونَ بِسَببِ عرضٍ أو مغنَمٍ، ولكنهُم يقاتلونَ فى سَبيلِ عقيدَةٍ أخذتْ بمجامعِ قلُوبهِم، فأصبحَ الموتُ فى سبيلِ الله أحبَّ إليهم من الحياة. وحمَى الوطيسُ ونزلت ملائكةُ الرحمَنِ تضربُ أعداءَ الله فوقَ الأعناقِ، تضربُ منهم كُلَّ بنانٍ. فمَا استقَامَتْ قريشٌ عَلَى قائمَةٍ، وفَرَّ المشركُونَ يطلبونَ النجاةَ والمسلمونَ مِنْ ورائِهِم

لا يبقُونَ منْهُم عَلَى أحَدٍ، ونَسِى أبُو حُذيفة ما كانَ مِنْ مصرَعِ أبيهِ وأخيه وَعمّة عَلَى الشرْكِ ، كانَ كالأسَدِ الهائجِ يَنْقضُّ عَلَى جحَافِلِ الكُفْرِ انقضَاضَ الموْتِ، ويفعلُ بأعدَاءِ الله الأفَاعِيلَ.. وهو مِنْ خلالِ ذلكَ يعرضُ نفسَه على السادةِ فى سبيلِ الله فلا ينالهَا؛ ليقْضىَ الله أمرًا كَانَ مفْعُولا.

هالَ قريشٌ مَا رأتهُ مِنَ استبسَالِ المسلمينَ وإصرَارِهِم وبأسِهِم خلفَ قائدِهِم الأعْظَم . واجتمعَ رءوسُ الكفرِ بعضُهُم إلى بعضٍ يتبادلُونَ الرأىَ؛ بغيةَ القضَاءِ عَلَى محمَّدٍ وأصْحَابه. اهتز كيانُ قريشٍ رغمَ كثرتِهِمْ، ولولا ما نفخَه فيهَا الشيطانُ أبُو جهل مِنَ الخوفِ عَلَى سُلطَانهَا بينَ العربِ فى قابلِ الأيام، ومَا ينتظرهَا من الفناءِ على يَدِ محمد (ﷺ) وأصحابه،لو سَالمتهُ فى أوّلِ معركَةٍ لهَا معَهُ لَعَادتْ عَلَى أعقابِهَا إلىَ مَكّةَ لا تلْوِى عَلَى شَىْءٍ.

بَعْدَ انتهاءِ الموقعةِ أمرَ رسولُ الله (ﷺ)، ببناء قَلِيبٍ يدفنُ فيهِ قَتْلى المشركِينَ، وأخذَ المسلمونَ يجُرونَ إليه جُثثَ الكفرِ، واحِدًا إثْرِ واحدٍ، وخلالَ هذَا المشهدِ الرهيبِ نظَرَ النبىُّ الأعظَمُ إلى أبى حذيفة، فإذا الكآبةُ باديةٌ على وجْهِه، وقدْ رَأى المسْلمينَ يجُرونَ أباهُ إلى القَلِيبِ فتقدمَ منْهُ (ﷺ)وقَالَ: يا أبا حُذيفة لعلكَ دَخلكَ مِنْ شأنِ أبيكَ شَىْءٌ؟.

فأجَابهُ أَبُو حذيفة المؤمنُ الصادقُ بقوله: لا والله يا رسُولَ الله، ما شككْتُ فى أبى ولاَ فِى مصْرعه.. ولكنى كنتُ أودُّ أنْ يهديَه الله إلى الإسْلامِ، فلمَّا رأيتُ مَا أصَابهُ وذكرتُ ما مَاتَ عليه مِنَ الكفرِ بعْدَ الذى كنتُ أرجُوله أحْزننى ذلك.

فأظهرَ النبىُّ (ﷺ) لأبى حذيفة العطفَ والرضَى، ومسحَ على صدْرِه ودعَا له بالخَيْر.

وعَلَى رأسِ القَليبِ، وقَدْ سَوَّى المسلمونَ الترابَ على مَنْ فيه، وقفَ (ﷺ) يَناجِى صرْعَى الكافرِينَ فقالَ:

- (يا أهلَ القَليبِ.. يا عتبة بن ربيعه، يا شيبة بن ربيعة، يا أبا جهل ابن هشام، بئسَ عَشِيرة النبى كنتُمْ لنبيكُم، كذبتمُونى وصدَّقنى الناسُ، وقاتلتمُونى ونصرَنى الناسُ، وأخرجتمُونى وآوانى الناسُ.. هل وجدتُّمْ ما وعَدَكم ربكُم حَقًّا.. فإنى وجدْتُ ما وعَدَنِى رَبىِّ حقًّا؟).

ودُهشَ المسلمونَ لخطابِ رسُولِ الله (ﷺ) إلى صرعَى المشركِينَ. فقالُوا: يا رسُولَ الله.. أتنادِى قومًا قدْ جِيفُوا..؟.

فأجَابهُم الرسولُ (ﷺ) عَلَى الفورِ فقالَ: ما أنتم أسمَعُ لِمَا أقُولُ منْهُم، ولكنهُم لا يستطِيعونَ أنْ يُجيبُونى.

ولكنَّ أبَا حذيفة لمْ يَسْتطعْ نسيانَ عِصْيانِهِ لأمرِ الرسُولِ (ﷺ)، وخوْفه

مِنْ ذنْبه، فكانَ يقولُ: مَا أنَا بآمِنٍ مِنْ تلكَ الكلمَاتِ التى قُلْتُ يومئذٍ ولا أزالُ منهَا خَائفا، إلاَّ أنْ تكفرهَا عَنِّى الشهَادة.

وتستعِرُ الحربُ بينَ رسولِ الله (ﷺ) وبينَ أعدائِه، وينهَضُ المسلمونَ فى كُلِّ غَزْوَةٍ خَلْفَ النبىِّ الأعْظَمِ، ويسْرعُ أبُو حذيفة إلى المقدمةِ عندَ كُلِّ لِقَاء، لعلَّهُ أنْ ينَالَ الشهادةَ، ولكنهُ لا يظفرُ بهَا.. قَاتلَ فى أحُدٍ.. وقاتلَ فى الخنْدَقِ.. وقاتلَ فِى حُنَيْن.. والطَّائف.. وتبُوك، وحضَرَ جَمِيعَ المشَاهِدِ معَ رسولِ الله (ﷺ)، وهُوَ لا همّ له مِنَ الخروجِ إلا أنْ يصدقَ الله فى قتالِ أعدَائِه، حتى النصْرَ أو المَوْتَ، ولكنه عادَ منهَا جميعهَا دونَ بغْيته، ليْحيَا لا كمَا يحْيَا غيرُه فِى بحبوحَةِ الرضَا بنصْرِ الله - ولكن ليستأنفَ حياةَ الضيقِ والسأمِ، والخوفِ والندَامة..

وحرَصَ دائمًا على أنْ يكونَ فى مقدمَةِ جيوشِ المسلمينَ فى كلِّ موقعَهٍ لعلَّهُ ينالَ الشهادَة، ولكنه كانَ فى كلِّ مرةٍ يعودُ سالمًا حزينا، بينمَا كانَ المسْلمونَ يهللونَ مِنَ الفرحَةِ، كانَ تأنيبُ الضميرِ يفتتُ نفسَ أبى حذيفة ويجثمُ عَلَى قلبِهِ الضيقَ والسَّأم.

تُوفِّىَ الرسولُ (ﷺ) وهوَ راضٍ عَنْ أبِى حذيفة، ولكنَّ هَذَا لَمْ يُرحْ ضميرَ الرجُلِ، ولْم يثنِهِ عنْ طلبِ الشهَادةِ، ودعَا أبُو بكْرٍ الصِّدِّيق خَليفة رسولِ الله (ﷺ) المسلمينَ إلى قتالِ المرتدين، فارْتفعَت ألويةُ الجهادِ فَوْقَ أحدَ عشَرَ جيشًا، فى أخطَرِ وجهَةٍ سَارَ

إليهَا أنصارُ الله، كان أبو حُـذيفةَ فِي مقدمـةِ الصفوفِ مـنْ جيش خـالدِ بنِ الوليـدِ إلى اليـمامَةِ، لحرْبِ بنى حنيفة، والقضاءِ على فتنَةِ مُسَيْلمة الكذَّاب.

ودارتْ رحَـى الحـربُ طاحنةً، استشهدَ فيها كثيرٌ منَ المسـلمين، وكادَ جيشُـهُم أنْ يُشـتتَ منهزمًا لولاَ شجاعةُ خـالدِ الـذى حمَلَ سـيفَه ومرقَ بينَ صفوفِ المُرتدِّينَ يصيحُ بالمسْلمينَ: (وامحمَّداه.. وامحمَّداه)

فاجتمعَ شملُ جيشِ المسلمينَ خلفَ قائدِه، وثبتَ أمامَ بطش العدُو حتَّى استشهدَ حاملُ رايةِ جيشِ المسلمين، فأسرعَ إليها أبُو حذيفة ليحْملَها منْ بعْدِه وهو يصيحُ فى المسْلمينَ قائلاً: «يَا أهْلَ القرآن.. زينُوا القرآنَ بالفعَال».

فانقلبَ الحالُ وأصبحَ النصرُ للمسـلمينَ والهزيمَة لأعدَاءِ الله، واستبسَلَ أنصارُ الله، وانهَزمَ أعداءُ الله وصَارَ النصرُ للمسْلمين وانطلقَ معاويةُ بنُ أبى سـفيان منْ خلفِ خَالِه أبى حـذيفة إلى رأس الفتنةِ السـوداءِ مسَيْلمـة، فذبحـهُ بسـيفِه وبذلك تمت كلمةُ الله للذينَ آمنوا.. ومِـنْ خـلالِ النصـرِ الحاسم، سطَرَ أبُو حذيفة فى سـجلِّ الخلود صفحـةَ التوبـة الكُبْرى.. ففاز بالشهادة، واستشهد أبـو حـذيفة فى هـذه المعركـة، كمـا كـانَ يتمنـى، واسـتشـهدَ التـائـبُ الأوابُ، وقد ارتسَمت على وجهِهِ بسـمَةُ الرضَى بقبول توبتـه مـنَ الله التوَّاب الرحيم. وهكذا كفَّرَ أبُو حـذيفة عـنْ زلَّة لسـانه بالعملِ الصالح، والقتالِ فى سَبيلِ الله، حتى آخر لحْظَةٍ منْ حياته رضى الله عنه.

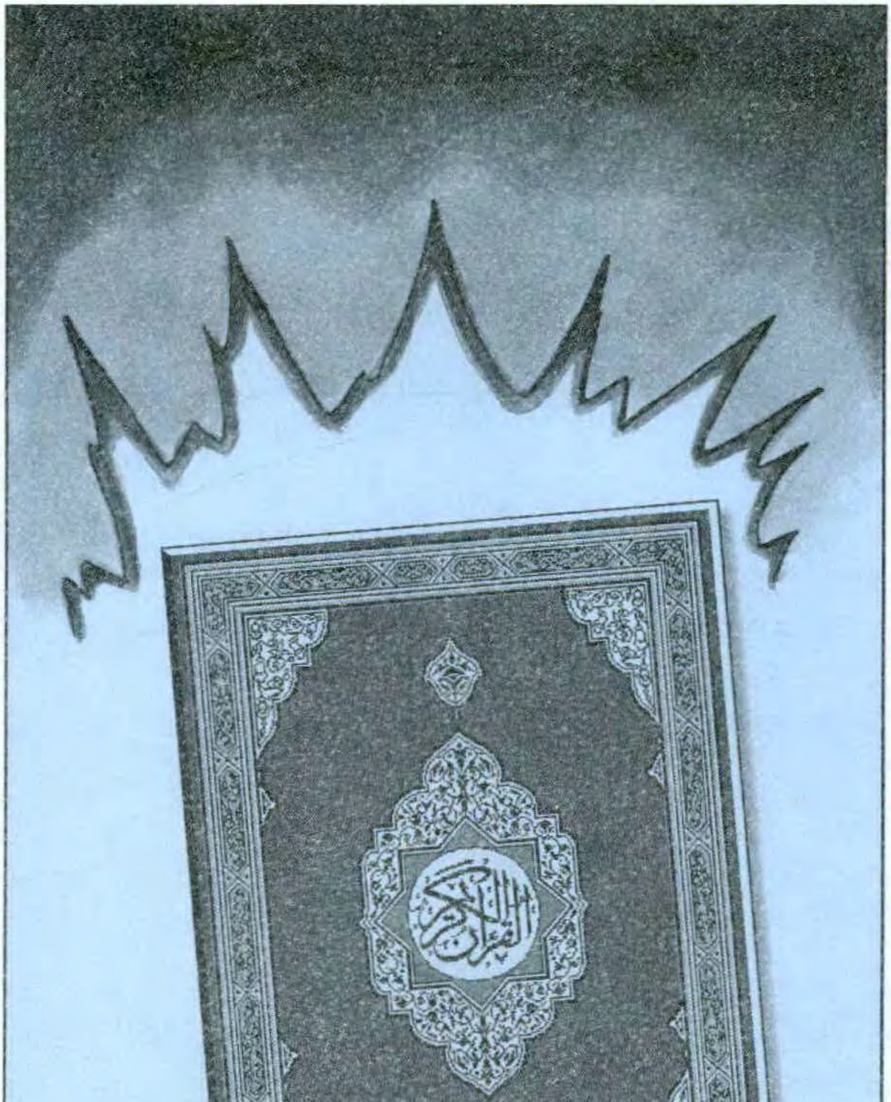
القرآن الكريم

المراجع:

١ – محمد فهمى عبد الوهاب – شهداء الصحابة فى صدر الإسلام. دار الاعتصام عام ١٩٨٠.

٢ – عبد اللطيف عاشور – العشرة المبشرون بالجنة – مكتبة القرآن ١٩٨٨.

٣ – خالد محمد خالد – رجال حول الرسول.

٤ – محمد يوسف الكاندهلوى – حياة الصحابة – ١٣٩٩ هـ.

رقم الإيداع		٢٠٠٢/٣٨٩٩
الترقيم الدولى	977-02-6260-9	ISBN

٧/٢٠٠١/١٠٦

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)